أمارات الطوفان

كيف لك أن تلوم من يستهتر بغيره عندما تراه في "تماديه بجهالته" ليصل إلى درجة يستهتر فيها بنفسه؟ وكيف لك أن تُصرَّ على أولوية الاعتماد على هويّتك الانسانية الجامعة في ظل احتمال فشل رهاناتك؟ تسقط كل الشعارات الكبرى عندما تصبح الفاشية (أي حزم "قضبانك" وقبل العاصفة) خياراً لا مفرَّ منه. تحصين الجامع مستحيل إن كان بيت مّن يبتغي "الحصانة" مُخترَقاً لا مكان لحكم العقل والمنطق فيه.

كنت أتوقع الاعتراض على 'مبادرة ترتيب البيت السنّي، تحصيناً للساحة الجامعة على المستوى الوطني' ومن قِبَل من لم يسلَم من انتقاداتي وعلى مدى العقود الثلاث الأخيرة من مالقراطية عالمية "مُستثمِرة"... ولكن ما رأيته من "ارتعاب" ومن هبَّة للدفاع عن المكتسبات كان ممن لم أترك حيلة ولا وسيلة لأطمئنهم أن ما نقوم به إنما هو من أجل الحفاظ على وجودهم وفي قريبٍ لن يبقى لأحدٍ منهم "برج" يتحصّن فيه.

وكما ذكرته ويُقال على ألسنة الناس: ما الفائدة في استبدال "الشبعان" بـ "الجوعان" من أصحاب الأمر؟ فمِن بَعد العرب من امتدادنا الإقليمي، كان التقرُّب مِمَّن في كياناتهم صورة مصغَّرة عن حال إخوانهم. ولقد عملت على تأكيد ضمانة استمرار القائم من أصحاب "الشأن" والقرار في "تربُّعهم على عروشهم"، ولـ "يَرِثَ المُلْكَ" الأبناءُ والأحفادُ من بعدهم... شرطَ "تَخْفيفِهم" من "الاستهتار بوجود الناس من حولهم"!

مرة ثانية: عندما تكلمت عن الثورة الفرنسية، وعن مراقبة وتأملات 'إدمند بورك' لأحداثها ولما آلت إليه من "مقصلة" ومن 'حكم إرهاب'، إنما كان من باب الحرص على مصير "رؤوس" الاستهتار في الغرب وعند العرب من الأهل، وتأكيداً على اجتناب حلول الثورة وضرورة التخلّي عن "التحضير لأجواء الثورة" وفي ظل "الفوضى الخلاقة" لكل أدوات الخراب، وفي خدمة كل من يريد "الاصطياد في الماء العكر".

ولنتكلّم بالعامية

وليعذرني أصحابي لما سأخوض فيه من تفاصيل

إن احتكار تيار المستقبل للساحة السنية وبهذا الشكل الذي تتم عملية الاحتكار فيه ليس من مصلحته، وما تقوم به "المالقراطيةُ من أهل السنة" اليوم من وضعٍ للعصي في عجلة الانطلاق في عملية الإنقاذ نتيجتُه فشلٌ لمحاولة احتواء عواقب الاستهتار وفي مرحلةٍ قادمةٍ لن تُسكِتَ "جائعيها" بدائلُ "البسكوت".

الاحتكار الذي أتكلم عنه هنا لا يقتصر على هيمنة التيار على قرارات وعلى "خيارات" الطائفة السنية؛ وفي ظل "الثنائيات" التي يدير بها شركاء الساحة وبـ "الحكمة" كلٌّ مسيِّرٌ ومُيسِّرٌ لشؤون بيته وساحته؛ بل في ما يعانيه التيار من "أسرٍ" لعقلائه واستبعادٍ لكل من لا يعجبه الاستعباد على المستوى الداخلي.

المسألة لا تتعلّق اليوم بتقاسم الكعكة، إنما بما تُدفَع إليه طائفة أكثرية، وبامتدادات ديمغرافية وجغرافية، وفي "استراتيجيةٍ" لا يَفهَم "حياكتها" ولا يُدرِك مخاطرها مَن مصلحتُه الخاصة وشهوتُه مبلغَ عِلمِهِ وهَمِّه، يُعالَج اليأس فيها بالأحلام ولتكون الساحة الخلّاقة عندها في خدمة البديل الأوحد لما نحاول القيام به.

وما دفعني للانطلاق "بمن ركب السفينة" مؤخراً، إنما كان نتيجة ما رأيتُه من عقولٍ ونفسياتٍ مشابِهة ومن داخل بيتٍ لطالما تفانيت في الدفاع عنه وفي تبرير صلاحيّته لاحتواء "انفلاتات" المرحلة القادمة، عندما يتولّى ابن الزعيم و/أو صهر الزعيم اتخاذ القرارات وفي زمن تَغلِبُ فيه "الخِفَّةُ" في تقييم الأمور.

ما أردت "الإشارة إليه" في ورقة 'السنة وحاشية الزعيم' "حَسَمَهُ" ابن الزعيم بافتراض أنَّ 'جَمْعَ المال' كان مبلغ همّنا من وراء ما نقوم به!! متجاهلاً ما تنافى مع مصلحة بقائنا من تضحية من أجل وجوده، ودون "تكليف النفس" للتحقّق مما يُمكِن لأي إنسان معرفتُه عنّا من "مقوّمات" تُثبت خِفَّتَه في ما يدَّعيه.

هَمُّنا كان إثبات جدّيَّتِك ومن باب إقناع النفس بجدوى الإصرار على بقائك، لا طمَعاً بمالك ولا بجاهك. المبادرة كانت، وبأي حال، ليتعاون أولي الألباب في تقييم وفي إعادة تقييم كل هذه الادعاءات "أولاً"، وليبدِّل المخطئ فينا من حساباته، و/أو لنتعاون في معالجة ما يتهدّدنا في وجودنا وقبل فوات الأوان.